Enlightenment collection's
ISSN 2716-7852
V :09, N :01 – 30 Juin 2019

سلسلة الأنوار
ISSN 2716-7852
المجلد 09، العدد 01 – 30 جوان 2019

الشباب في الجزائر بين البداوة والتمدن

دراسة أنثروبولوجية للهجات بمنطقة أوزيدان–تلمسان

Young people in Algeria between Bedouin and urbanization: An anthropological study of dialects in the Ozidan-Tlemcen region

تبحار جهيدة*

جامعة وهران2 محمد بن احمد/ الجزائر (djahidatibehhar@gmail.com)

تاريخ الاستلام : 2019/02/02 ؛ تاريخ القبول : 2019/06/03؛ تاريخ النشر : 30 /06/ 2019

الملخص

تعتبر المدينة نتاج للتحضر ، والذي له مميزات مشتركة في عدة مجتمعات على اختلافها، فمن بين المعايير التي تشير إلى التمدن أو التحضر نجد الكثافة السكانية المرتفعة، الضجيج الدائم، التطور المستمر في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي المختلفة كالانترنيت وغيرها من المؤشرات، ويعد الشباب من أكثر الشرائح الاجتماعية تأثيرا وتأثرا بالمدن على اختلاف الطبقات الاجتماعية والثقافات بما تحمل من قيم ولهجات متعددة يتبناها الأفراد أثناء عملية التواصل مع الآخر، ومن ثم فإن إشكالية التواصل لهذه الفئة مع غيرها هل هو مرتبط بالتنشئة الاجتماعية أو بما أنتجته تكنولوجيات الإعلام والاتصال خاصة ما تعلق منها بالانترنيت ؟ وما هي طبيعة اللهجة المتداولة عند شباب منطقة أوزيدان بتلمسان في ظل التحضر أو التمدن ؟.

الكلمات المفتاحية: الشباب، البداوة، التمدن، اللهجات، لهجة محلية / دارجة، الاتصال.

Abstract

La ville est une produit de l'urbanisation ، qui a des caractéristiques communes à différentes sociétés ، notamment la forte densité de population ، le bruit constant ، le développement continu de l'utilisation de divers médias sociaux tels qu'Internet et d'autres indicateurs. Impact social et impact sur les villes de différentes classes sociales et cultures ، véhiculant les valeurs et les dialectes adoptés par de nombreux individus dans le processus de communication avec l'autre ، puis le problème de la communication de cette catégorie avec d'autres Est-il lié à la socialisation ou produit par technologie liés aux médias et à la communication ، en particulier ceux liés à Internet ? Quelle est la nature du dialecte parlé par les jeunes de la région d'OUzidan à Tlemcen à la lumière de l'urbanisation ou de l'urbanisation ?.

Keywords: youth, Bedouin, urbanism, dialects, local/darija dialect, communication.

* **الباحث المرسل:**

مقدمة:

لقد أصبح الاهتمام بدراسة الشباب وقضاياهم في المجتمع من الضروريات اليوم، وذلك في مختلف التخصصات خاصة في علم الاجتماع الذي أوجد فرعا جديدا اسمه _ علم اجتماع الشباب Sociologie of youth، ويعد مفهوم الشباب من أهم المفاهيم في العلوم الإنسانية والاجتماعية على حد سواء والتي تعنى بالنقاش والتحليل في المجتمعات المتقدمة وكذا النامية.

والواقع أن المكانة المعاصرة التي يشغلها الشباب في كافة المجتمعات يمكن النظر إليها بوصفها نتاج للتغيرات الاجتماعية والسياسية والديموغرافية، والتعليمية والتربوية التي شهدها القرن الماضي وبدايات القرن الحالي كما يقول الدكتور محمد، محمد علي في كتابه _ الشباب العربي والتغير الاجتماعي [1]_، ويضيف قائلا أن هذه المكانة قد انبثقت وتحددت من خلال الفلسفات المعاصرة والتيارات السياسية والثقافية والنفسية التي ترجمت عنها هذه الفلسفات وأصبحت تشكل سمة العصر.

ومن بين المواضيع التي تتعلق بالشباب والتي نريد معالجتها من خلال هذا الطرح هو موضوع الشباب وعلاقته بالتمدن أو التحضر من جانب اللغة وبالتحديد اللهجات، فكما لا يخفى على الجميع هناك لهجات متعددة تختلف باختلاف المناطق والمجتمعات، فعلى سبيل المثال لا الحصر، في المجتمع الجزائري هناك تعدد لغوي ولهجات كثيرة، فلهجة سكان الغرب تختلف عن الشرق ولهجة سكان الشمال تختلف عن لهجة الجنوب، وبالتالي هذا التنوع في اللهجات يمكن أن يكون راجع إلى الأصول يعني التنشئة الاجتماعية للأفراد ، أو أنه يعود إلى المنطقة في حد ذاتها، ومن خلال هذا الطرح سنحاول معرفة مدى تأثير وتأثر الشباب باللهجات وعلاقته بالمدينة والتحضر في مدينة تلمسان وبالضبط في منطقة أوزيدان، فما هي طبيعة اللهجة المتداولة عند شباب هذه المنطقة في ظل التطور التكنولوجي والانفتاح الحضري الذي تشهده هذه الأخيرة ؟.

[1] _ انظر ماجد الزيود، الشباب والقيم في عالم متغير دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان _الأردن _، الطبعة 1، 2006م، ص 35.

أولا وقبل كل شيء يجب أن نتطرق إلى تحديد مفهوم الشباب وأهميته داخل المجتمع لكي يتسنى للقارئ معرفة التحديد العلمي لهذه الفئة، ثم نمر إلى دراسة هذه الفئة الحساسة في المجتمع وعلاقتها بموضوع اللهجات في الجزائر وبالتحديد في مدينة تلمسان، فما مفهوم الشباب ؟.

التحديد العلمي لمفهوم الشباب :

يعد مفهوم الشباب من المفاهيم الخلافية، كما هو شأن الكثير من المفاهيم في العلوم الاجتماعية بصفة عامة، حيث اختلف الباحثون المختصون حول تحديد هذا المفهوم بسبب تعدد الظروف المحيطة بهذه الفئة العمرية، وكذا بسبب اختلاف الدراسات والتخصصات التي تعنى بدراسة هذا الموضوع، فهناك مثلا من يحدده انطلاقا من الزاوية الزمنية، أو البيولوجية، ومنهم من يحدده من الزاوية النفسية تبعا للحماس والحيوية ...الخ.

لقد أدى الاختلاف في تحديد مفهوم الشباب إلى ظهور عدة اتجاهات وذلك على النحو التالي :

الاتجاه الزمني أو العمري :

وهو الذي يعتبر الشباب مرحلة عمرية تتراوح ما بين (15 _ 30) سنة، وهي المرحلة التي يكتمل فيها النمو الجسمي والعقلي على نحو يجعل المرء قادرا على أداء وظائفه المختلفة .

الاتجاه البيولوجي :

ويميل أصحاب هذا الاتجاه إلى تحديد مرحلة الشباب على أساس اكتمال نمو البناء العضوي والوظيفي للمكونات الأساسية لجسم الإنسان ، سواء كانت عضوية داخلية أو خارجية، كالعضلات وما إلى ذلك .

الاتجاه النفسي :

يرى أنصار هذا الاتجاه أن الشباب ليس مرحلة عمرية تتحدد بسن معينة، وإنما حالة نفسية لا علاقة لها بالعمر الزمني، فأنت شاب بمقدار ما تشعر بالحيوية والحماس، والحركة والطموح، والأمل في الحياة، فبمقدار ما يشعر الفرد أنه يتمتع بالحيوية والشباب، وبمقدار ما يشعر أنه يولد في الآخرين الرغبة في العمل والحياة يكون حينئذ شابا، ولما يخفق في ذلك يشعر باليأس والإحباط والرغبة في الهروب من الحياة، فهذه بدايات مرحلة الشيخوخة .

الاتجاه الاجتماعي : وهو الذي يرى أن فترة الشباب تبدأ حينما يحاول المجتمع تأهيل الشخص لكي يحتل مكانة اجتماعية، ويؤدي دورا أو أدوار في بناءه، وتنتهي حينما يتمكن الشخص من احتلال مكانته وأداء دوره في السياق الاجتماعي وفقا لمعايير التفاعل الاجتماعي [2].

التعريف بميدان الدراسة :

أ / الموقع والتسمية :

تقع تلمسان شمال غرب الجزائر ، يحدها شمالا البحر المتوسط وجنوبا ولاية النعامة، وشرقا ولايتي عين تموشنت وسيدي بلعباس، وغربا المغرب الأقصى وهي حاضرة من الحواضر الإسلامية والتاريخية، ويطلق عليها لؤلؤة المغرب الكبير، كما سماها آخرون مدينة الفن والتاريخ[3] .

أما فيما يتعلق بالتسمية فيقول أبو بكر المقري التلمساني (تسمى بلغة البربر تلمسان، كلمة مركبة من " تلم " ومعناها تجمع، وسان ومعناها اثنان أي أنها تجمع بين التل والصحراء)، ويقال أيضا' " تلمشان " وهي مركبة من تلم ومعناها لها وشان أي شأن، وبالتالي يصبح معنى الكلمة لها شأن[4] .

أما عن تلمسان فقد ذكر أنها قاعدة المغرب الأوسط، فما بين تلمسان وتيهرت سكن بنو مرين وجميع قبائل زناتة منهم تجين، ومغراوة، وبنو راشد وورنيد وغيرهم، وكان اكثرهم فرسانا يركبون الخيل، ولهم معرفة بارعة وحذق وكياسة[5] .

أما المرابطون والموحدون فهم أصلا قبائل أمازيغية من تخوم الصحراء الموريتانية كانوا قد اكتسحوا شمال إفريقيا ووصلوا إلى برقة شرقا، وإلى الأندلس غربا ثم اتجهوا نحو أعماق الصحراء جنوبا فكانوا ينشرون مذهبيهما تحت راية الإسلام، كما كانوا يكتبون نصوصهم الفقهية والدينية باللغة الأمازيغية وبحروف عربية مثلما فعل محمد بن تومرت والتي سميت ب (رسائل محمد بن تومرت)[6] .

---

[2] انظر ماجد الزيود، الشباب والقيم في عالم متغير دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2006م، ص 37.

[3] انظر ولاية تلمسان، or.wikipedia. org./wik/ 7/2/2019/

[4] – نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق، د إحسان عباس، دار صادر، بيروت 1988م، د ط، ص 133_134، من الجزء السابع .

[5] – انظر ابن عذارى المراكشي، البيان المعرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط1، ص 196.

[6] – عمار يزلي ، ثورة النسا (أهازيج عن الثورة الجزائرية)، جمعية الثقافة للثقافة والفنون الجزائر، د ط، 2009م، ص 09.

ب / اللغة :

تعد اللغة ظاهرة اجتماعية ومكون من مكونات الثقافة الخاصة بكل مجتمع، بحيث حظيت باهتمام بالغ من طرف العلماء والباحثين حتى أصبح لها علم خاص بها يسمى علم اللغة الاجتماعي Sociolinguistique، فاللغة التي يتحدث بها سكان الجزائر بصفة عامة وسكان مدينة تلمسان بصفة خاصة هي اللغة العربية، ولكنها مع ذلك تختلف في اللهجات وذلك من منطقة إلى أخرى، وطبعا يوجد علم خاص بتحليل ووصف التنوعات هذه يطلق عليه اسم **علم اللغة الجغرافي**، بحيث أن هذا الأخير بين كيف تختلف اللهجات حسب المستوى الثقافي الاجتماعي، الانتماء الجنسي، العمر، وغيرها من العوامل التي تؤثر بشكل أو بآخر على طريقة النطق، فالعلاقة مثلا بين اللغة والثقافة علاقة جد وثيقة وتظهر هذه العلاقة قوية واضحة في السلوك اللغوي والثقافي معا، وبالتالي نستطيع أن نحكم على ثقافة الشخص من محصوله اللغوي المتمثل أساسا في ألفاظه وعباراته وأشكال نطقه وأداءه الصوتي، وقد قال الشاعر في هذا المقام [7]:

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده

فلم تبقى إلى صورة اللحم والدم

ويتردد على ألسنة أهل تلمسان على اختلاف مناطقهم ألفاظ **القبايل والعروبية** ، فالقبايل تعني النسبة إلى القبائل أما العروبية فترجع إلى أصل الأعراب ، ينعتون به القبائل الرعوية الهلالية القاطنة على الضفة الأخرى لنهر تافنة جنوب شرق المنطقة منها على الخصوص قبائل لجويدات، وبني يعقوب وأولاد رياح، التي تكون إحدى أفخاذ هلال بن عامر بن صعصعة ويقابلهم سكان الشمال الشرقي لوادي تافنة قبائل بني مسهل بعداء تاريخي مجهول السبب وغير مفهوم، حتى أنهم أقاموا حدا فاصلا بينهم وبين القبائل العربية من خلال وادي تافنة، فمن يسمون **بالقبائل** يمارسون نشاطهم الزراعي ويسكنون أعالي الجبال، أما من يسمون **بالعربيات** فيشتهرون بتربية المواشي والفروسية [8] .

[7] – د. كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي، ط 3، القاهرة، 1997م، ص 41.

[8] – انظر عمار يزلي ، ثورة النسا (أهازيج عن الثورة الجزائرية)، جمعية الثقافة للثقافة والفنون الجزائر، د ط، 2009م ، ص 14.

هل يمكن القول بأن لهجة الفرد تتحدد بمستواه الثقافي أم من خلال محيطه الاجتماعي؟ أم أن هناك محددات أخرى يمكن أن تعود إلى الجانب التكنولوجي وغيرها ؟.

للإجابة على هذا السؤال يجب العودة إلى مختلف الأبحاث التي قام بها اللغويون وعلماء الاجتماع والأنثروبولوجيون، وعلماء الثقافة وما إلى ذلك للخروج بإجابة علمية مقنعة .

طبعا إذا حاولنا دراسة لهجة شباب منطقة أوزيدان بتلمسان بالعودة إلى المستوى الثقافي للأفراد، فإنه ومن خلال الملاحظة المباشرة وكذا المقابلات لاحظنا أن بعض شباب المنطقة وبالرغم من المستوى الثقافي والتعليمي المحدود إلا أنه يحاول أن يعطي لنفسه شخصية مغايرة تعبر عن مدى تحضره ومواكبته لجميع متطلبات المدينة، فمن خلال اللقاءات المتكررة مع المبحوثين وجدنا أن معظم الكلمات الدارجة التي يتحدث بها هؤلاء الشباب قد أوجدوا لها صياغة باللغة الفرنسية خلال تداولهم على مواقع التواصل الاجتماعي، والتي كان أبرزها الفيسبوك، فعلى سبيل المثال لا الحصر كلمة ''لاباس '' بمعنى بخير باللغة العربية فهي تكتب هكذا أثناء المحادثات الالكترونية '' labes '' ، وهي مكتوبة بالفرنسية ما يعكس الترسبات الثقافية التي تركها المستعمر في أذهان الطبقة المثقفة وغير المثقفة على حد سواء .

كذلك بالنسبة لبعض اللهجات التي يتداولها السكان الأصليون بمدينة تلمسان والتي ينفردون بها عن بقية المجتمع الجزائري نجد استخدام حرف ''أ '' مثلا نأخذ كلمة ''قلت ليك '' باللهجة الدارجة، فنجد أن السكان الأصليين أو الحضر يقولون ''أتلك'' ، وبالتالي فإن التأثر بالمدينة والتحضر أضفى طابعا جديدا على اللهجة الخاصة بسكان المنطقة لاسيما النازحين من الأرياف .

النتائج والمناقشة :

من بين النتائج التي توصلنا إليها خلال هذا البحث ما يلي :

1/ إن مشكلة اللغة في الجزائر تطرح عدة تساؤلات، أولها التأثر بثقافة ولغة المستعمر، وثانيها الهيمنة التكنولوجية والثورة المعلوماتية التي تنخر بالثقافة العربية والإسلامية بدءا بلغة الضاد، وبالتالي فإن اللهجة المتداولة عند الشباب بصفة خاصة يغلب عليها طابع التقليد، فند مثلا أن

بعض الأفراد وخلال محادثاتهم عبر الفيسبوك فإنه يكتب باستخدام حروف اللغة الفرنسية ك كلمة ''غاية '' بمعنى جيد أو في حالة جيدة، فإنه يكتبها فالموقع على النحو التالي '' gaya''، وهذا ما يؤكد سيطرة الثقافة الفرنسية على عقول الشباب الجزائريين بشكل أو بآخر، ليس في منطقة تلمسان وحسب ولكن في مختلف المناطق من هذا البلد، وقد أشار إلى ذلك المفكر الكبير مالك بن نبي حينما تحدث عن الأفكار الميتة والأفكار المميتة، وكذا حينما أضاف حول القابلية للاستعمار التي تتميز بها الثقافة العربية وهي نتاج لترسبات تاريخية لا نريد الخوض فيها خلال طرحنا هذا، ومن جهة أخرى فإن النزوح الريفي الذي تشهده معظم المناطق يعد سببا آخر من بين الأسباب التي تجعل أن هناك ازدواجية في اللهجات داخل المناطق الحضرية التي تعرف نزوحا كبيرا من القرى والمداشر كما هو شأن منطقة أوزيدان محل دراستنا .

2 / الخلط الموجود في لهجة شباب المنطقة يعود بالأساس إلى الاقتراض من اللغات واللهجات الأخرى بسبب عدم وجود مرادفات في اللغة الأم، وإن وجدت فهي غير مدركة من طرف هذه الفئة التي ترى في الاقتراض دلالة على التحضر والتمدن .

3 / يرى شباب المنطقة أن اللغة الفرنسية هي لغة امتياز، لغة تعبر عن طبقة معينة يتمثلها الشباب، ويعبر بها لتحقيق رغباته وإبداء آراءه أمام مختلف الفئات الاجتماعية .

4 / لقد أدت التغيرات التي طرأت على مدينة تلمسان إلى ميلاد ثلاث لهجات متباينة حسب رأينا، وهذه اللهجات هي : اللهجة الحضرية، واللهجة البدوية، واللهجة نصف الحضرية .

ومن بين النقاط التي نحاول الإشارة إليها كذلك خلال هذا الطرح نذكر :

أولا : إن التغيرات التي طرأت على اللهجة المحلية ل (تلمسان) هي نتيجة تأثر السكان بالحروب أو الغزوات، أو العوامل الاجتماعية والجغرافية . بالإضافة إلى ذلك فإن لهجة تلمسان تتميز بجملة من الخصائص اللغوية مما جعلها محل اهتمام العديد من الباحثين أمثال ويليام مارسي [9].

[9] _ نظرة المستشرق ويليام مارسي في تعريب المغرب العربي، 1940م، ص 233.

ثانيا : لقد قدم ويليام مارسي عدة أبحاث عن نشأة اللهجات العربية في المغرب العربي، واستنتج أن المنطقة تعربت وظهرت فيها لهجات مغاربية عرفت لاحقا باسم اللهجات العربية الحضرية وأخرى باللهجات العربية البدوية، بحيث يقول ويليام مارسي : '' إن الغزو العربي لشمال إفريقيا بدأ خلال النصف الثاني من القرن 7م، قابله رد فعل أمازيغي امتد على فترة زمنية طويلة نسبيا، وفي القرن 8م استولى العرب على المغرب نهائيا وأصبح تابع للمشرق العربي وبارتباط المغرب الوثيق بالمشرق العربي استطاع القادة الجدد أن يضعوا في المنطقة بصمات لن يقدر الزمان أن يمحوها أو يزيل أثرها، إذ تمكنت السلطات العليا في دمشق من تعريب السكان، مما جعل اللغة العربية الفصحى هي اللغة القومية للأمة العربية وبجميع أقطابها، وعلى الرغم من كل الاختلافات اللهجية المحلية فإن لغة القرآن الكريم لا تزال وحدها اللسان القومي لهذه الأمة '' .

ثالثا : الظاهر أن التجارة والمصاهرة والاتصال اليومي بين سكان تلمسان وأهل الريف لم يؤثر في طريقة نطق سكان هذه المنطقة '' أي سكان الحضر '' إذ استطاعوا أن يحافظوا على خصائص منطوقهم، إن لم نقل فرضوها أحيانا وانصهرت واندثرت أحيانا أخرى إلا أن المؤكد هو أن للعامل الجغرافي دورا فعالا في تنوع منطوق المتكلم .

خاتمة :

وفي الأخير يمكن القول أن موضوع اللهجات في الجزائر لا يزال مهمشا رغم وجود بعض الدراسات والأبحاث التي تبقى حبيسة الأدراج، والواقع أنه يجب على العلماء والباحثين توجيه وتوعية الأفراد للحفاظ على الموروث الثقافي واللغوي بشكل خاص في ظل التطور الهائل في مختلف المجالات، ويبقى رهان سياسة الدولة ومشاركة الفاعلين في الحفاظ على اللغة العربية باعتبارها رمز من رموز الإسلام والعروبة والتي يعتز بها المجتمع الجزائري .

قائمة المصادر والمراجع :

– ابن عذارى المراكشي، البيان المعرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط1.

– إحسان عباس، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، دار صادر، بيروت 1988م، د ط، من الجزء السابع .

– عمار يزلي ، ثورة النسا (أهازيج عن الثورة الجزائرية)، جمعية الثقافة للثقافة والفنون الجزائر، د ط، 2009م .

– كمال بشر، علم اللغة الاجتماعي، ط 3، القاهرة، 1997م .

– ماجد الزيود، الشباب والقيم في عالم متغير ، دار الشروق للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2006م، ولاية تلمسان، /7/2/2019 /org./wik .or.wikipedia.